گۆڤارا زانستێن مرۆڤایەتی یا زانکۆیا زاخۆ
مجلة العلوم الانسانية لجامعة زاخو
Humanities Journal of University of Zakho (HJUOZ)
Vol. 14, No. 2, pp. 275–267, April-Jun.-2026.
hjuoz.uoz.edu.krd
p-ISSN: 2664-4673
e-ISSN: 2664-4681
journals.uoz.edu.krd

الثنائيات الضدية في شعر ابن الأبار البلنسي-الشَّباب والشَّيب أنموذجاً-

أنديرا بـژار نصرالدين* محمد عبدالقادر حسين
كلية العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، إقليم كردستان – العراق. (andera.bjar@gmail.com)
كلية العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، إقليم كردستان – العراق. (Mohammed.hussein@uoz.edu.krd)

تاريخ الاستلام: 2025/07 تاريخ القبول: 2025/11 تاريخ النشر: 2026/15 https://doi.org/10.26436/hjuoz.2026.14.2.1679

الملخص:

الشاعر إنسان مرهف، يتأثر فيعبر ويحسَّ فيعكس إحساسه بألفاظ منغّمة وجمل مزينة بخلجات وجدانه، واهتزازات عواطفه، وانفعالات ذاته، والشعر في معظمه شعر وجداني، يرسم بالكلمات أعماق الإنسان العربي بكل مخزوناتها وتجاربها خلال معاناته الفردية والجماعية الطويلة مع الزمن والحياة والمجتمع، وبكل ما فيها من أفراح وأحزان، من غبطة وألم، من غنى وفقر، واستقرار وضياع، من حبٍ وكره... إلى ما هنالك من تناقضات يعيشها كل إنسانٍ، فإن المتأمل لأشعار ابن الأبار البلنسي يكشف عن مدى تجلي الثنائيات الضدّية في قصائده التي حملت في داخلها دلالات عميقة تُعبر عن تجربته الزاخرة بِالمِحَن والتَّرْحال والعقبات والخذلان سواء كان في الفضاء النفسي او الفضاء الفكري أو الفضاء الاجتماعي، ويُوظف هذا الواقع عبر الثنائيات الضدية بكلّ أحزانه/أفراحه، وخيره/شره وصدقه/كذبه، ونوره/ظَلامِهِ، وحبه/كره، وبعِزّه/ذُلّهِ، وبعطفه/قَسوتِهِ، ومثّل فيها الشجاعة/الجبن، والأمل/اليأس، والخوف/الأمن، وعبر فيها الطموح العلمي والولع بالسياسة، وكان له التميز الواضح في فنه الشعري، بث فيها آفاقاً جمالياً وتنوعاً دلالياً مثمراً وقَدَّم لنصوصه الشعرية أبعاداً جمالية متفردة ورؤى فلسفية عميقة عبَّرت عن قلقه الوجودي وذلك عن طريق فاعلية الأنساق الثقافية، التي تفصح المكتوم وتظهر ما أُضمر. ومن ثم، سنقوم بدراسة متأنية لثنائية الشَّباب والشَّيب في نصوصه الشعرية وكشف المعاني الكامنة خلف تلك الثنائيات الضدية من جوانبها المتنوعة والتي أثارت في نفسية الشاعر مشاعر الخوف وأحياناً الحزن من المصير الذي ينتظر كلّ محبٍ للحياة وملتزم بطول الأمل فيها لغايات كامنة في ذاته.

الكلمات الدالة: الثنائيات الضدية، ابن الأبار البلنسي، الأندلس، الصورة الشعرية، الشَّباب والشَّيب.

➢ المقدمة

إن من الموضوعات التي تعكس أهمية بالغة في تحريك الصورة في النص الشعري الثنائيات الضدية، وذلك أن الشاعر هو ذلك الإنسان التي تميّز عن البقية بإحساسه المرهف وحسّه الصادق ورؤيته البعيدة وفلسفته العميقة، فهو ينظر إلى الطبيعة والكون بمنظار تلك الثنائيات التي أبرزت كمال ابداع وصنع خلق الله سبحانه للكون، فالليل والنهار والشمس والقمر والشَّباب والشَّيب والموت والحياة والفرح والحزن والضحك والبكاء وغيرها الكثير من الثنائيات التي قامت الدنيا والحياة على وجودهما في حياة الإنسان، لذلك ارتأينا أن تكتب هذه الدراسة عنها عند أحد الشعراء الكبار في الأندلس وهو ابن الأبار البلنسي، فكان عنوان البحث (الثنائيات الضدية في شعر ابن الأبار البلنسي -الشَّباب والشَّيب أنموذجاً-) ليكون الحديث مركزاً على هذه الجزئية البسيطة والمهمة في حياة الشاعر.

❖ وقد اتبع البحث المنهج التحليلي في الوقف على بعض النماذج الشعرية التي ورد فيها الشَّباب والشَّيب وتحليلها تحليلاً فنياً وموضوعياً.

❖ وقد انقسم البحث على تمهيد ومبحثين، تناول التمهيد المصطلح والمفهوم للثنائيات الضدية من النواحي البلاغية والنقدية، ومن ثم جاء المبحث الأول ليتتبع حياة الشاعر وسيرته الأدبية، أما المبحث الثاني فقد سلّط الضوء على ثنائية الشَّباب والشَّيب في شعره عبر نماذج من نصوصه الشعرية، ثم تأتي الخاتمة التي خرجت بأهم النقاط المستنتجة من خلال البحث.

➢ التمهيد:

لا شكّ أن مصطلح الثنائيات الضدية شاع ذكره في الحقول المعرفية المختلفة، فقد كان له حضوره في التنظيرات الفلسفية والاجتماعية والنقدية، وقد عرف من خلال الدراسات أن استنباط المفاهيم الاصطلاحية يتأتى من خلال الاستعمالات اللغوية لجذور الكلمات والألفاظ التي تعكس معاني ودلالات كثيرة من خلالها يتم الوصول إلى معرفة المفهوم الاصطلاحي لها، لذلك أردنا أن نرجع إلى المعجمات اللغوية فنقف على المعاني اللغوية لمصطلح الثنائيات الضدية بغية تقصي المفهوم الاصطلاحي في الحقول المعرفية، وقبيل الشروع إلى تناولها في شعر ابن الأبار البلنسي والوقوف على استعمالاتها في البنية الشعرية والتي ستعكس مدى إدراك الشاعر لها من خلال الإتيان بها داخل النصوص الشعرية.

➢ الثنائيات الضدِّية لغة:

* الباحث المسؤل.

This is an open access under a CC BY-NC-SA 4.0 license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/)

من خلال مطالعتنا لبعض المعجمات اللغوية بحثاً عن دوران المعاني للثنائيات الضدّية فيها وجدنا أنها تحمل دلالات ومعاني عديدة تدخل في جلّها فيما نروم إليه من دراسة.

فالثنائية ترجع إلى جذر (ثني) بمعنى: "ثنى يثني، وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين، وذلك قولك ثنيتُ الشيء ثنياً، ... وقيل: إنه مشتق من ثنى الشيء ثنياً: ردّ بعضَه على بعض، وثنى الشيء: عطفه، وثناهُ كفّه، ويقال ثنى صدره على كذا: طواه عليه وستره، ...وقد تثنى وانثنى والاثنان: ضعف الواحد، وثنيتُ الشيء جعله اثنين... والثنيُ: الإخفاء، وقيل: جاء القوم مثنى مثنى، أي اثنين اثنين. وثنّيتُ الشيء بالتثقيل جعلته اثنين، ... والمثاني: هو ما كان أقلّ من المئتين وتسمى فاتحة الكتاب مثاني؛ لأنها تثنّى في كلّ ركعة" (الجوهري، (1999)، ص2295؛ الرازي، (2003)، ج1، ص391؛ المصري، (2003)، ج3، ص46؛ أبادي، (2005)، ج6، ص2295).

وبعد الوقوف على تلك المعاني التي دلّت عليها المعجمات اللغوية واستعمالات العرب لمادة الثنائية والضدِّية تبيّن أن كلا المصطلحين تربطهما علاقة متلازمة فهما مبنيان على شيئين مختلفين بعلاقة جدلية مبنية على أساس المخالفة، ومثل ذلك، فإنّ المخالفة الضدّية أقرب إلى الذهن من أي علاقة أخرى؛ فمجرّد الإشارة إلى معنى من المعاني يستدعي ضدَّه في الذهن، إذ تُعَدّ العلاقة الضدّية من أبرز صور تراصّ المعاني، لأن استحضار أحدهما يستتبع عادةً استحضار الآخر (أنيس، (2010)، ص179).

➢ الثنائيات الضدية اصطلاحاً:

المفهوم الاصطلاحي للثنائيات الضدّية عند الفلاسفة هو الثنائي في الأشياء هو ما كان ذا شقين، والثنائية تعني الاعتراف بزوجية المبادئ التي تفسّر الكون، مثل ثنائية الأضداد وتعاقبها، أو ثنائية الواحد واللانهاية عند الفيثاغوريين، أو ثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون. وفي هذا السياق، تُعد الثنائية مرادفة للاثنية، أي أن الطبيعة تقوم على مبدئين (صَليبَا، (1982)، ج1، ص379-380). وتكاد النظرة الفلسفية تتوافق في الوقوف على مفهوم الثنائيات الضدّية وهذا ما لخصّهُ الفارابي في نظرة عميقة بأن الضدين هما مفهومان متناقضان، يعبران عن المعنى ذاته من وجهتين متعارضتين (الفارابي، (1960)، ص208).

➢ الثنائيات الضدّية مفهوماً بلاغياً ونقدياً:

وكان لمفهوم الثنائيات الضدّية حضوراً كبيراً في الدرس البلاغي والنقدي عند العرب فهو من الأساليب البلاغية الرصينة في علومها المختلفة ولا سيَّما في البديع، على اختلاف وتنوع مفاهيمه البلاغية من تضاد ومقابلة وطباق وغيرها من الفنون البديعية التي تضمنت البلاغة العربية (الساحلي، (1993)، ص6-17؛ عامر، (2000)، ص6-25)، وقد أثار النقاد والبلاغيون تساؤلات عديدة حول طبيعة التضاد ودورهِ، ممَّا أسفر عن هذا انبثاق آراء متعددة ومتناقضة، إذ عدّ البعض أن التضاد يتجسّدُ من خلال مفهوم المقابلة. وتُشير إحدى التعريفات المتعلقة بهذا المصطلح إلى أن صحة المقابلة هي: "أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فِيمَا يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفِيمَا يخالف بضد ذلك" (جعفر، (1302)، ص47). ويمكن أن تعكس المقابلة فساداً في المعنى، عندما يعرض الشاعر معنى ثم يقابله بمعنى آخر، سواء كانت متفقة معه أو مخالفة له، بحيث يكون أحد المعنيين لا يتعارض مع الآخر أو لا يتطابق معه (المصدر نفسه، ص77). لذلك، يجب أن يكون هذا التداخل ناتجاً عن طرفين، وليس محصوراً في طرف واحد، حتى يبقى الكلام متماسكاً ومتوازناً.

وبعد ذلك، تأتي المطابقة التي تُضاف ضمن فئات التضاد، إذ يتمحور تركيزها بشكل خاص على الكلمات التي تحمل معاني متضادة، تشير إحدى التعريفات إلى، أن المطابقة في الكلام، كما أجمع عليها الناس، هي الجمع بين الشيء وضدّه داخل جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت الشعري، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد (العسكري، (1952)، ص307). وبذلك، يُعَدُّ المطابقة من الأساليب البلاغية التي تنسج خيوط التعبير من الألفاظ التي تحمل دلالات متضادة أو متعارضة، مِمَّا يُضيف جَمالاً وعمقاً في المعنى. كما أشار إليها أحد القدماء في تعريفه، بأن المطابقة هي الجمع بين الضدين داخل الكلام أو البيت الشعري (الأَرْدِي، (1981)، ج2، ص5).

ولقد استمرت المحاولات وازدادت الدلالات لتصنيف وتحسين المصطلحات المختلفة المرتبطة بالتضاد، بما في ذلك مفهوما الطباق والمقابلة ومع ذلك، لم يغوصوا بالقدر الكافي في الدَور الجوهري الذي يؤدّيهِ التضاد في إيصال المعنى بدقة ووضوح. إلى أن جاء هذا التعريف، الذي يحمل أفكاراً عميقة، ويسلط الضوء على أهمية وقيمة التضاد وكاشفاً عن أثره الكبير في بناء وتركيب الأعمال الأدبية ويتضح ذلك من خلال مضمون التعريف الذي يقول "هل تشكُّ في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشْئِمِ والمُعْرِق. وهو يُريك للمعاني الممثَّلة بالأوهام شَبَهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، ويُنطق لك الأخرس، ويُعطيك البيان من الأعجم، ويُريك الحياةَ في الجماد، ويُريك التئامَ عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماءِ والنارِ مجتمعين" (الجرجاني، (1991)، ص132). فيما نرى أن استخدام التضاد يعدّ وسيلة فعالة تترك أثراً عميقاً في نفوس المتلقين وقلوبهم، وفي هذا الصدد، قد ذَكرَ أحدهم أن النفوس تميل إلى تقارب المتماثلات وتشابك المتشابهات والمتضادات، وما يجري على هذا المنوال من تحريك وإثارة الانفعال بما يتوافق مع مقتضى الكلام، لأنّ تناصر الحسن في الأشياء المتماثلة والمتشابهة أمكن من النفس موقعاً من سنوح ذلك لها في شيء واحد. وكذلك يكون الحال مع القُبح؛ فكل ما يكون أقوى وأقدر على النفس يكون أشد إثارة لها. وأيضاً، حين يقف الحسن أمام القبيح أو القبيح أمام الحسن، يزداد شعور النفس بالسرور تجاه أحدهما وترك الآخر لتبين حال الضدّ بالمثول إزاء ضدّه. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيباً (القرطاجني، (2008)، ص40).

وبعد استقصاء مجموعة من الآراء التي طرحها النقاد والبلاغيون حول ظاهرة التضاد والمفاهيم المرتبطة بها، أصبح واضحاً لنا عمق الأهمية التي تحملها هذه المصطلحات في فكر القدماء. فكل عالم يتأملها من زاويته، ويعرفها وفقاً لثراء تجربته وجوهر تفكيره، ولذلك في العصر الحديث تَحَتَّم بالضرورة وجود دراسات نقدية تكشف عما دارت حوله الجهود والمحاولات في تصدير المفهوم النقدي للثنائيات الضدّية في النصوص الأدبية لندرك أنها ليس مجرد إثراءً بلاغياً أو خدعة فكرية أو تزيين وزخرفة، وإنَّما تعدّ انبثاقاً من حالات شعورية

تحمل في طياتها مواقف متعارضة، إذ تمنح الثنائيات الضدية عمقاً وجاذبية للأعمال الأدبية، مِمَّا يساعد على تحقيق التوازن، وتعطيها إيقاعاً ساحراً. وتُصنّف دراسات البنيوية من بين الأبحاث الغربية التي أعطت أهمية خاصة للثنائيات الضدية (أبو غالي، (1995)، ص22)، وتعدّ البنيوية منهجاً نقدياً داخلياً، يُنظر إلى اللغة كما لو كانت عالماً ذرياً مغلقاً على ذاته، وموجود بذاته، فتُدخل في هذا الإطار في مغامرة لاكتشاف لعبة الدلالات (حمودة، (1998)، ص160). ويعود الفضل في تطويره إلى عالم اللغة (فردنان دي سوسير) الذي سلَّط الضوء على جوهر (الثنائيات) أو (المتقابلات) ورأى أن اللغة ذَات طبيعة مُزدوجة، وإنَّها تقدِّم على الدَّوام وَجْهين مُتقابلين، ليس لأحدهما قِيمة إلا بالآخر (غلفان، (2017)، ص113)، ويبدو أنه قد تأثر بالنظرية الكلاسيكية التي ترى أن لكل شيء في هذا الكون وجهين مختلفين، ويكمل كل منهما الآخر (مومن، (2005)، ص121). مثل الثنائية بين اللغة والكلام، وبين التعاقب والتزامن، وفضلاً عن الثنائية بين الدال والمدلول (دي سوسير، (1985)، ص9 وص84)، وبين محور المركب الترتيبي والاستبدال الترابطي (دي سوسير، (1987)، ص156-157). وإن الثنائيات تُعَدّ أداة فكرية رئيسية في عقول البشر، تستخدم لتفسير تعقيدات الحياة اليومية والأدوار الاجتماعية، فضلاً عن كيفية تنظيم الأفراد والمجتمعات لمعارفهم وتجاربهم من أجل إدراك العالم المحيط بهم. من هنا، تبرز أهمية دراسة مفهوم الثنائيات في البنيات الاجتماعية، من خلال تشكيلات متنوعة من الثنائية القطرية، مثل التقابل بين شرق وغرب، وأشكال متعددة من الثنائية المتحدة المركز، مثل متقابلات بين ذكر وأنثى، وعزوبة وزواج، ومقدس ومدنس. وتتميز هذه الثنائيات بتعقيدها الفائق، إذ تتداخل الثنائيات المركزية مع القطرية، لِتُنْتِجَ صورة معقدة للعلاقات الاجتماعية (شتراوس، (1977)، ص174-185). إذ ترى التفكيكية أن الثنائيات المتقابلة تشكل فخاً، ولذلك يسعى أحد الفلاسفة الغربيين إلى تفكيك الميتافيزيقا وكشف عن تناقضاتها الداخلية، متجنباً الوقوع في فخ التقابلات الثنائية أو ازدواجية المفاهيم، التي يركز عليها الفكر الميتافيزيقي الغربي، والتي تشير إلى طبقات وعلاقات متسلسلة تُحكم بتوزيعها بين الحضور والغياب، والداخل والخارج، والشكل والجوهر، والعمق والسطح، والعقلي والحسي، والأعلى والأسفل، والواقع والخيال، والشرق والغرب، والمذكر والمؤنث، والمدلول والدّال (دريدا، (2010)، ص12؛ دريدا، (2000)، ص27). و "مقترحاً بدائل أخرى، تتمثل في سلسلة من المفردات المزدوجة المعنى" (دريدا، (2013)، ص7)، ويكافح هذا الفيلسوف من أجل تحليل وتفكيك الثنائيات المتقابلة التي يقوم عليها الفكر الغربي مثل: المرأة والرجل، والحقيقة والزيف، والمعنى واللامعنى، والمركز والهامش، والعقل والجنون، يهدف من وراء ذلك إلى تجاوز إطار التفكير الثنائي التقليدي، لأنه يدعم أن كل موضوع يحمل في أعماقه جزءاً يبدو مضاداً له، فلا يمكن أن نجد مركزاً نقيّاً تماماً، إذ إن الهامش المقابل له يُعدّ جزءاً لا يتجزأ من وجوده (دريدا وآخرون، (2018)، ص6). ولقد تركت الأفكار والمعتقدات الغربية بصمة عميقة في عقول العرب المعاصرين، إذ نَحَتتْ تأثيراً واضحاً في أنماط تفكيرهم حول الثنائيات الضدية، ولاسيَّما تلك الآراء التي تعكس البنيوية. ومن بينهم يبرز أحد النقاد، ويفسر بأنها على المستوى التصوري، تؤدي إلى نشوء الفجوة، أي مسافة التوتر في لغة الشعر نتيجة إدخال مفهومين أو أكثر، أو تصورين أو موقفين غير متجانسين أو متضادين ضمن بنية واحدة، إذ يمثل كل منهما مكوناً أساسياً، وتتحدد طبيعة التجربة الشعرية جوهرياً بحسب العلاقة التي تقوم بينهما داخل هذه البنية (أبو ديب، (1987)، ص41). أما هناك مَن رأى التضاد بمنظور مغاير، إذ أصبح يسميه (المفارقة) التي تهدف إلى إبراز التناقض بين طرفين متضادين أو متقابلين ضمن البناء الشعري للنص، بدءًا من الجزئيات وصولًا إلى القصيدة بأكملها (السعدني، (2005)، ص100)، فإن إبراز التناقض بين متضادين يُفْضِي إلى انبثاق المفارقة.

➢ جمالية (فعالية الثنائيات الضدية في الشعر)

تَحْتَلُّ الثنائيات الضدية موضعاً متميزاً في النص الشعري، وَتُعَدُّ إبداعاً جمالياً ووَسيلَة فعالة في تَكْثِيف وتوضيح المعاني والعواطف عن طريق الصراعات الداخلية والخارجية، وأنها في جذورها تنبع من تميّز ظواهر معيّنة في جسد النص، ثم تكرارها عدة مرات، ثم انحلال هذه الظواهر واختفاؤها، وبهذه الصفة يكتسب النص طبيعته الجدلية (أبو ديب، (1984)، ص109). وكلما ازداد ورود التضاد في النص الشعري، لا سيّما إذا وصل إلى التضاد المطلق، فهذا يساعد في تَعْزِيزِ الطَّاقَةِ الشِّعريَّة. ويعكس في المعاني عمقاً وتأثيراً (أبو ديب، (1984)، ص47). ودليلاً إلى انسجام إيقاعاته، وانفتاحه على أكثر من محور، وغزارة الثنائيات الضدية في النص الشعري تمنحهُ فَائِضاً من الحيوية والحركة، وكذلك تجتمع فيها الخصائص الجمالية (الديوب، (2009)، ص7). وأن استعمالها في النص الشعري، غاية جمالية ومطلبٌ فني، تمنح التعبير جمالاً خاصاً، وتُحقق تناسباً فنياً بين أجزائه وتوازناً وانسجاماً، ويرتبط بين الألفاظ والعبارات والصور، فتبدو الصورة الشعرية متكاملة في انسجام أجزائها وألوانها، وأن الثنائيات الضدية تُمثل جزءاً أساسياً من عناصر الشعر وخِصِّيصَةٌ جوهرية لا غِنَى عَنهُ (الوتوات، (2019)، ص261). إذاً تُعد الثنائيات الضدية أحد المصادر الرئيسة للشعرية، وتزداد درجة الشعرية في النص بازدياد حضورها (الديوب، (2017)، ص159).

➢ انعكاسات الثنائيات الضدية على الشعراء

تمثل الثنائيات الضدية في فكر الشعراء منبعاً رئيسياً للتعبير عن الصراعات الداخلية والحالات الشعورية في النص الشعري، ممّا يعكس ثراء التجربة الإنسانية العميقة، ويُمنح للدلالات والمعاني بُعداً وتأثيراً، ويُجمل النص الشعري بالعمق الفلسفي الذي يتطلب التأمل والتحليل للوصول إلى أعماق الشاعر عاكسة دوافع قول الشعر لديه، ولقد تمَّ ربط إنتاج الشعراء بالدوافع النفسية والبيئة وهما اللذان يغريان الشاعر، ويفتحان قريحته لنظم الشعر، لأن الشعر يَنبع من عمق الانفعال في نفس الشاعر، وبقدر ما يكون هذا الانفعال صادقًا وعميقًا، تتنوع أقوال الشعراء وتختلف، ولا ينشأ الانفعال في نفس الشاعر إلا نتيجة دافع أو موقف معيّن (علي، (2019)، ص180-182). وقد أعطى أحد العلماء عناية خاصة للدوافع وراء نظم الشعر مشيراً إلى أن دواعيه تحث البطيءَ وتبعث المتكلِّف، وتشمل الطمع والشوق والشراب والطرب والغضب (الدينوري، (1958)، ج1، ص78). والشَّاعر المَجيد يُحَسِّن انتقاء البنى اللغوية، فيُبدع تركيبها عن طريق نظرته الذهنية الذاتية للعالم من حوله، فيضيف عليها سمات من جوهر روحه في قوالب وسياقات ملائمة فهي خاضعة لذوق الشاعر وثقافته وتأثير العصر فيه

وعبقرياته، ويخلق منها عالمه الشعري (الموسوي، (2015)، ص140-145).

➢ المبحث الأول: ابن الأبار البلنسي عصره وحياته:

في أواخر القرن السادس الهجري، شهدت الأندلس ولادة رجلٍ من أعظم وأكبر أعلامها، وكان آخر رجال الأندلس براعةً وإتقاناً، واسعَ المعرفة وافتناناً، محدّثاً ومُكثِّراً، ضابطاً عادلاً وثقةً، ناقداً يقظاً، مُذكِّراً بالتواريخ على اختلاف أغراضها، متبحرًا في علوم اللِّسان: نحواً ولغةً وأدباً، كاتباً بليغاً، وشاعراً مجيداً ومُفْلِقاً للألفاظ (المراكشي، (2012)، ص281)، وهو أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمدَ بن أبي بكرٍ القُضَاعي، البَلَنْسي (التلمِسَاني، (1968)، ص589)، ويُلقب بابن الأبّار، وبالأبّار وعاش في الفترة مَبَيْن سَنَتَي (1199م إلى 1260م) أي إحدى وستين سنة ميلادية (ابن الأبار، (1985)، ج1، ص7)، وكان مَوْلِدُ ابن الأبار في مدينةِ أُنْدَى (onda)، وهي دارُ القُضَاعيّينَ في شرقِ الأندلُس، وُلد والدُه عبدالله بن أبي بكر القُضاعي في هذه المدينة سنة 571هـ، وهي اليوم تعتبر مدينة صغيرة ضمن مديرية قسطليون (القضاعي، (2011)، ص10)، ونشأ شاعرنا في ربوعٍ تفيض بجمال الطبيعة، وبين عائلةٍ عُرفت بحُسن الأخلاق وكرم النفس، ورقي الذوق في الملبس، ومنصب اجتماعي مرموق وذو اعتبار في بلنسية، وترعرع في جوٍ علميّ مثقف، فقد كان والده من علماء بلنسية، واسع الصلات بعلماء الأندلس عامة وشرقيها خاصة، واشتهر بملازمته لشيخ الأندلس أبي الرَّبيع سُليمان الكَلاعي، غذ كان من أخص بطانته وأقرب الناس إليه في كل صنائعه وأعماله (البَلنسي، (1985)، ص9). فقد كان كبير علماء عصره، وعُني أتم العناية بالتَّقييدِ والرِّوايةِ، وإماماً في صِناعةِ الحَديثِ، بصِيراً به، حافِظاً، حافِلاً، عالِماً بالجَرْحِ والتَّعديلِ، ذاكراً للمَواليدِ والوَفَياتِ، مُتَقَدِّماً على أهلِ زَمانِه في ذَلِك، وذو دِرايةٍ فائِقةٍ بأسماءِ الرِّجالِ، خاصَّةً مَن تأخَّرَ زَمانُه وعاصَرَه. وقد كَتَبَ الكثيرَ، وكانَ حَسَنَ الخَطِّ، لا يُضاهى في الإتقانِ والضَّبطِ، مُبْحِراً في الأدبِ، مَشْهوراً بالبلاغةِ، فَريداً في إنشاءِ الرَّسائلِ، مُجيداً للنَّظْمِ، خَطيباً فَصيحاً، مُفوَّهاً، مُدْرِكاً، حَسَنَ السَّردِ والمَساقِ فيما يَقُولُ، مع الشَّارَةِ الأنيقةِ والزِّيِّ الحَسَن، وكانَ المُتَحَدِّثَ باسمِ المُلُوكِ في مَجالِسِهِم، مُبَيِّناً لما يُريدونَه على المَنبَرِ في المُحافِلِ (الذهبي، (2008)، ص401)، وكما عرف ابن الأبار بالجد والمثابرة والبحث والاستقصاء، لم يقتصر على تلقي العلم على يد علماء بلنسية وغيرها من مناطق الأندلس فحسب، بل كان يقوم أيضاً برحلات علمية بين مختلف المدن الأندلسية بهدف الدراسة خلال حياة والده. ومع ذلك، اضطر إلى العودة إلى بلنسية بعد أن وصلته أنباء وفاة والده في الخامس من شهر ربيع الأول سنة 619هـ، وكان هو يومها في ثغر بَطَلْيوس، فلم يكن حاضراً في جنازته (البَلنسي، (1985)، ص9-10؛ ابن الأبار، (1989)، ص17)، فأقام في بلنسية بعد موت والده مُرافقاً لِشيخ أبي الربيع الكلاعي، الذي كان أقرب أصدقاء والده، وهو الذي رَشَّحهُ لِلكتابة، في دار الحاكم بلنسيَة (القُضاعي، (2001)، ص7). حينما دخل الطاغية إلى بلنسية ونازلها، أرسل زيان وفداً إلى الأمير أبي زكرياء يمثل أهل بلنسية، وكان من بينهم الحافظ ابن الأبار. حضر هذا الوفد مجلس السلطان، وأنشد ابن الأبار قصيدته على روي السين طالباً العون. فما كان من السلطان إلا أن استجاب لهم، وأرسل إليهم المدد من المال والمؤن والكساء، إذ وجد أهل بلنسية محاصرين في هُوَّةِ الحِصَار (المالكي، (2019)، ص1716). التي مطلَعُها:

1- أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أَنْدَلُسَاً
إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مَنْجَاتِهَا دَرَسَا

إلا أن غلب الطاغية على الأندلس، فغادر ابن الأبار مع أهله إلى تونس. وقد تولى حينها كتابة الإنشاء، ولكنه كان يكتبها بخطه الأندلسي المغربي، فقرر السلطان أبو زكريا أن تُكتب الرسائل بالخط المشرقي، كلف بدلاً عنه أحمد بن إبراهيم الغساني بكتابة الإنشاء، فغضب ابن الأبار لهذا القرار، ورمى بالقلم، وأنشد في تعبير عن موقفه (القضاعي، (2011)، ص22):

اطْلُب العِزَّ في لَظَى وَذَرِ الـ
ـذُّلَّ وَلَو كانَ في جِنَانِ الخُلودِ (ابن الأبار، (1989)، ص8)

مما دفع السُّلطان إلى إيقافه عن العمل وأمره بالالتزام ببيته، وخَلَقَ له خصوماً بين أهل البلاد التي هاجر إليها طالباً للأمان والطمأنينة. ولم ييأس ابن الأبار، بل استشفع بولي العهد أبي يحيى زكرياء، ذلك الشاب المستضعف في أيام أبيه، الدائم الخوف من إخوته وأبناء عمه، والذي كان يحرص على كسب أنصار يشدون ظهره، فَسُرَّه أن يَلْتَمس الاستشفاع، لذلك كلَّم أباه في شأنه، فاستُعيدت إليه وظيفة الكتابة (القضاعي، (2011)، ص22-23). وظَلَّ شاعرنا يلحُّ ويستعطفُ السّلطانَ راجياً أن يُعيدَهُ إلى منزلةِ سابقِ عهده، غير أن أعداءَهُ لم يتركوا مناسبةً إلا وأوغروا بها صدرَ السّلطان عليه، حتى أفضت مكائدُهم إلى اتهامه بالخيانة العُظمى ومحاولة قلب الدولة (المصدر نفسه، ص23)، ممّا دفع السُّلطان في صبيحة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين للمحرم من عام ثمانية وخمسين أن يأمر بقتل الفقيه الأديب العالم الناظم الناثر الحجة ابن الأبار القُضَّاعي مَرشُوقاً بالرماح بعد أن أمر بضربه بالسياط، وقاموا بحرق كتبه وتقاييده في مكان قتله وكانت نحو خمسة وأربعين تأليفاً، ثم ندم السلطان على قتله (الزركشي، (1998)، ص75-76).

➢ المبحث الثاني: ثنائية الشَّباب والشَّيب في شعر ابن الأبار البلنسي

الخوف من الشيخوخة صورة من صور الخوف من الفشل وهي مظهر من مظاهر ضعف الحياة، وإدبار الشباب، وهجوم المرض، واقتراب الموت (إبراهيم، (1971)، ص149)، وكما أن ابن الأبار كان بعيداً عن وطنه وما فيه من ذكريات الصبا وهو في قصيدته يتحسر على شبابه الذي كان بين أحضان وطنه وأعلنها عندما كان لاجئاً في تونس أو بجاية: {الكامل} عدد الأبيات: 47

34- "هَلْ تَرْجِعُ الأيّامُ عَصْرَ شبيبة
مَا زِلْتُ فِيهَا بِالحِسَانِ أَشَبّبُ
35- حَيْثُ النَسِمُ بِمَا يَمُرّ عَلَيْهِ مِن
حُقّ الرّيَاضِ مُضَمّخٌ وَمُطَيّبُ
36- أَيّام يُرْسَل من شَبَابِيَ أَدْهَمٌ
أرنٌ وَيُشْكِلُ مِنْ مَشِيبَيَ أَشْهَبُ" (البَلَنسي، (1999)، ص62).

ينثر في هذه الأبيات نثر الحب على الأرض، وإن الاستفهام (هل) تصدّر البيت الأول فقد أراد الشاعر أن ينقل لنا شعور الشك والقلق بشأن احتمال عودة أيام الشباب ونسيم الماضي الجميل الذي سُلب منه بالقوة، واضطر إلى مغادرة موطن نشأ فيه بين خمائل وجداول كان يلعب بعذب مياهها، حين كان يتغزل بالفتيات الحسان (لقمان، (2013)، ص90)، ويتشوق إلى رياض بلنسية التي تغمرها العطر الطيب، فجاءت هذه الأبيات مشبعة بتصوير الوجدان، نابضة بالعبرة، كاشفة عن مأساة الزمن وتأثيره العميق في الإنسان ويناجي شبابه بحسرة ولوعة،

إذ تتمثل في هذه الأبيات الثنائيات الضدية (شبابي/مَشِيبي)، و(أدهم/أشهب)، التي أحدثت أثراً مضاعفاً في المتلقي، وأسهمت في إبراز شعرية التضاد داخل بنية النص، فالأدهم يجسد صورة شبابه وما يحتويه من قوة وطموح وتحدّ، ويستعين بالفرس الأشهب لوصف ما خالط سواد شعره بياضاً، بسبب تراجع قوته ونشاطه، فإن طبيعة الموقف الذاتي المشبع بشهوة الحياة تفرض على الشاعر الهروب من أثر الزمن المدمر إلى عالم الذكريات أو إلى عالم الحلم وما يحمله من فرح ولذة، ويكون هذا الهروب غالباً من مشاعر الكبر والعجز والضعف، إنه هروب من اليأس والموت نحو الحيوية والانطلاق (السد، (2007)، ج2، ص88).

وتتفتح صفحات الذاكرة أمام الشاعر ككتاب قديم يحمل في طيّاته ذكريات أيام شبابه التي كانت مليئة بالسعادة واللحظات الجميلة، وتتكاثف عندهُ الأحلام والآمال، فالشاعر في غربتين زمانية ومكانية، فهو يحن ويشتاق إلى شبابه وأيام السرور والمتعة، وكذلك يحن إلى ذلك المكان الذي نشأ فيه (بلنسية)، فيقول: {الكامل} عدد الأبيات: 45

10- وَاهاً لَهُ حَسِبُوا المَشِيبَ يَصُدُّهُ
عَنْ ذِكْرِ أيّامِ الحِمَى وَكُثِيبِهِ
11- وَإذَا العَمِيدُ نَضَا رِدَاءَ شَبَابِهِ
أغْرَاهُ بِالتهْيَامِ لِبْسُ مَشِيبِهِ (البَلَنسِي، (1999)، ص81).

ويجد ابن الأبار في ماضيه ملجأ دافئاً وخالياً من الأعباء والهموم، فيحنّ إلى الأهل والزمان والأوطان ومراتع الصّبا، وأيام اللهو والشباب والقوة (الرشيدي، (2020)، ص1035)، إذ ينقل لنا حالته الشعورية وإحساسه العميق عبر لفظ (واهاً) التي توحي بالحزن والحسرة والأسى على ما فاتَ بِلا رَجعةٍ، وظنوا أن المشيب جاء لِيَعْزِلَهُ عن أيام شبابه المنصرم عندما كان في أوج قوته وعزه ومُحمياً في أكناف وطنه، وبعد ذلك أتى بالثنائية الضدية (شبابه/مشيبه) في البيت الثاني من أجل "خلق صورة مغلفة بألوان الصراع النفسي المخفي والحاصل بين المتضادين والذي نشأ فيه تضاد آخر عبر (الموت/الحياة) فرداء الشباب لابد من نزعه وخلعه ولبس رداء الشيب معلناً مغادرة الحياة" (جاسم، (2019)، ص155)، إذ هو ثوب مُعَار سرعان ما يعرى منه المرء، كما يُعرى الغُصن الرقيق من أوراقه. فإن الثنائية الضدية الحاصلة على مستوى الألفاظ والمعاني في الأبيات تحيل إلى "الثنائية تتوالد من ثنائية أخرى فمن الشباب والمشيب إلى القوة والضعف ثمَّ إلى القدرة والعجز ثمَّ إلى الماضي والحاضر فهي أبعاد تتوالد عن أخرى مادياً ومعنوياً وزمانياً. وبهذه الثنائيات استطاع الشاعر أن يعبر عن تجربته الشخصية المرّة، شاكياً ألمه وأساه لفقد الشباب" (علي، (2021)، ص66).

لا يخفى بأنَّ الشّيب هو علامة التنبّه في حياة الإنسان، إذ يجعله يعيش في صراع وعداء مع الزمن، فشبابه ليس أكثر من ظلّ عابر قُبِضَ قَبضاً سريعاً، وتسرّب كالماء من بين يديه (جديتاويّ، (2018)، ص107)، وهو في غفلة من أمره، فزرع المشيب أشواك الإحباط في طريق الأماني، وأصبح محاصراً في ذكرياته التي كانت في الفؤاد عن وطنه الحبيب، "وهي ذكريات لا تفارق خياله ووجدانه، ولم تخلُ صور الحنين عنده من إظهار هذه الطبيعة الجميلة المؤثرة في النفوس. وشعوره بالغربة لا يقل عن شوقه وحنينه إلى بلده، ولكنه يحمل بين جوانحه مرارة الأسى، والحسرة على ما يحسّه ويعيشه" (جمعة، (2014)، ص300)، ولذلك يعود الشاعر بذاكرته إلى أيام الصبا، ويخاطب نفسه مستفهماً بقوله: {المتقارب} عدد الأبيات: 51

1- أحَقّاً طَرَبتَ إلَى الرّبْرَبِ
وَمُذ شَطَّت الدَارُ لَمْ تَطْرَبِ
2- رُوَيْدَكَ أعْرَض عَنْكَ الشَبَابُ
وَحَسْبُكَ بَالعَارِضِ الأشْيَبِ (البَلَنسِي، (1999)، ص104).

فابن الأبار يحاور نفسه متخذاً من الحوار وسيلة لشرح معاناته مستخدماً أسلوب الاستفهام مما يعكس كم الصراعات النفسية التي يعاني منها (عبده، (2016)، ص368)، فالحوار مع الذات "مصدر الهواجس والقلق عند الشاعر فيحاورها ويبثها أشجانه وهمومه وهي صماء لا تجيبه، حين لا يجد من يبثه همومه وشكواه بين الناس" (الخفاجي، (2012)، ص245)، إذ جعل الأبيات معبرة عن معاناته الشخصية، فصيغة الحوار تقوم على التساؤل، مع تقدير الإجابة التي تتلاءم مع صوته المجيب لنفسه داخليّاً (المذكوري، (2023)، ص92)، فهو يعاني من الحسرة واللوعة لفقد الشباب، وحسرته على أيامه الخوالي، وشوقه للديار، إلا أن الزمن له أثره، لفقد أحلى سنوات العمر بسبب الغربة، وهي مرحلة الشباب، وحلول المشيب وعزوف الغواني عنه (جعفر، (2010)، ص69)، "وفي الوقت نفسه يُعاتب القلب لتحذيره من الطيش في عالم الحب من أجل كبح جماحه" (المذكوري، (2023)، ص91)، فقد ودع ميادين المتع والملذات، التي كان يرتادها في شبابه، فلم يعد قادراً على كسب ودهن (الشوربجي، (2020)، ص94). وأدت استخدام الثنائية الضدية (الشباب/الأشيب) إلى تعميق المعاني التي توضح المفارقة بين حالين: ماضٍ وحاضر، وبين شخصين: ناءٍ وقريب، وبين موقفين متناقضين: هاجرٌ ومشتاق للقاء. وقد منح هذا الأسلوب للقصيدة قدرة على اقتحام القلوب وإمتاع الفكر (خضر، (2004)، ص151).

إن إحساس الغربة والحنين كان عميقاً في نفوس شعراء الأندلس، فقد ذاقوا معاناة الترحال والهجرة وقسوة البعاد ولوعة فراق (خيرة، (2019)، ص53)، فيعمد ابن الأبار في هذه الأبيات إلى بثِّ معاناته وآهاته، التي "تشير بشكلٍ واضح إلى مكنوناته النفسيّة تجاه الواقع السلبي الذي يعيشه؛ من خلال التغلغل العميق في الزوايا العميقة للذات ومعاينة مرارة المشاهد التي يألفها من خلال تجاربه الشخصية مع المجتمع المحيط به" (جبارة، (2024)، ص26)، ويتحدث عن الماضي السعيد وينوح على شبابه وحاضره الحزين، ويلجأ إلى عالم الذكريات هروباً من واقعه المؤلم، على أمل أن يجد فيه العزاء لنفسه مما يعانيه من حرمان (السد، (2007)، ج2، ص95-96). ويقدم لنا مجموعة من الثنائيات الضدية التي تندرج تحتها دلالات ومضامين جزئية، وتعكس الدلالات العامة من خلال التحسّر على شبابه المنصرم، وموقفه من الضعف والوهن الذي أصاب جسده، وموقفه من إقصاء المجتمع له، و "تيقنه من استحالة الخلود، فيكون وداع الموت مؤشراً لاقتراب المنية، ولذلك نجد الشاعر يتألم لفراق شبابه، ويبكي صباه الضائع، ولأنه لا يعني له بياض شعر الرأس فحسب، وإنما يعني هجران الغواني وإدبار الحياة عنه، بعد أن كانت تسعى وراءه" (السهلاوي، (2020)، ص225)، ويسعى عبر طاقته الشعرية تحدث عن تجاربه مع الدهر وما فيها من الذل والمرارة والانعزال في الغربة، حتى أصبح يكابد مثل الحائر الفقير بكثرة مصائب الزمن، الذي يعطي للإنسان "كل شيء في شبابه يعود فيسلبه كل شيء في مشيبه" (أبو زيد، (2021)، ص1610)، فقال: {الطويل} عدد الأبيات: 80

21- وَقَدْ شَابَ قَرْنِي وَالشَبَابُ مُوَدع
وَشَيبتُ قَرْنِي فِي الكُهُولِ وَفِي المُرَدِ

22- وَقَدْ حَكَنِي الدَّهرُ المُهَذَّب صَرْفه
يؤَدِبُني كَالطفْل فِي مَكْتب الجَدّ
23- وَذَوَّقَنِي بَعْد الحَلاوَة قَارِسا
وَمُرّاً وَبَعْد العَزّ ذُلا عَلَى فَقدِ
24- فَأَصْبَحْتُ خَلْفَ الأُنْسِ فِي وَحْشِ غُرْبَتِي
أَكَابِد مَا يَلْقَى بِهَا الحَائِر المكدِي (البَلَنسِي، (1999)، ص496).

حملت ثنائية(الشباب/الكهول) وفي هذه الأبيات مسألة التحول والتبدل بين حالين مختلفين من القوة إلى الضعف، ومن الحاضر إلى الماضي ومن الحلاوة البدايات إلى مرارة النهايات ومن العزة إلى الذلة، وخلق ابن الأبار حواراً مع ذاته عبر الثنائيات الضدية بين الألفاظ راسماً بها صورة لنفسيته وما يعانيه في الغربة والبعد عن الوطن متمثلاً ذلك في (الأنس/وحش)، لذلك يرى أن علاقته بالدهر هي علاقة تضاد (عثمان، (2016)، ص478-479)، إذ خلعَ عنه رداء الشباب، وألبسهُ ثوبَ الكُهولَةِ، وأجبرتهُ على إهمالِ جميعِ الآمالِ والرغباتِ، إلا من ذكرياتِ الشَّبابِ الجميلةِ (ياسين، (2024)، ص414)، فكل تجربة شعرية حقيقية تتطلب دفقاً شعرياً فاعلاً يستنطق الذات، ويكشف عن مكنونات النفس، ويغوص في أعماق الروح وأحلامها وتقلبات الحياة الإنسانية وصراعاتها، بهدف الوصول إلى رؤية فنية واضحة تحمل رسالة الأدب وتنقلها إلى عالم التجربة الإنسانية بصدق وشفافية، بعيداً عن التملق أو الصنعة؛ بشرط أن تنصهر هذه الرؤية في الإطار الشكلي وتلتحم معه، ليولد الإبداع الخالد من خلال ثنائية الرؤية والتشكيل (العبادي، (2014)، ص30). ووظف حرف التحقيق (قد) مع الفعل الماضي لتأكيد المعاناة التي يَعيشها في بلاد الغربة، وعلامة صدق الشاعر، "فلو أن المُتلقي لم يتعذب ولم يُعايش شُعور الشّاعر، سيتأكّد من همومه ومعاناته حين يرى حرف التّحقيق المكرَّر مرتيْن لتبيان سبب وجع الشاعر بعد غُرْبته المُتمثل بالوطنِ تارة وبُعدِ الأحباب تارةً أخرى" (مكاوي، (2019)، ص99). وكما أن التكرار في الثنائيات الضدية (شاب وشباب، كالطفل والمُرَدِ) و(شيبتُ والكُهُول) لا شك أن فيه يذكر الشاعر حالة مما تثير في نفسه ذكريات الشباب، وتعكس عمق الشكوى ونارها التي تلتهب في قلب الشاعر، وتحمل "حسّاً مرهفاً تخالطه مشاعر الضعف والأسى على زوال شباب كان يمثل مرحلة السعادة للشاعر" (السهلاوي، (2020)، ص232). بل إن التكرار في هذه الأبيات، يساعد على الإمساك بالفكرة المسيطرة على وجدان الشاعر ويكشف عن الحالة الشعورية الطاغية على مضمون الشعر (حمدان، (1997)، صص145). يرى علماء النفس أن في أعماق النفس الإنسانية ميلاً إلى تأكيد الذات والحصول على مكانة عالية في المجتمع، وهذا الأمر يصدق على كثير من المجالات التي ترصد الذات فيها اخطاراً وتتعرض إلى الاضطهاد عندئذٍ تضطر الذات البحث عن سلوك آليات نفسية كي تثبت نفسها وتقوي إرادتها، فتتضح هذه آليات بقدرة الشاعر على تبديل واقع الممدوح من أجل أن يصنع لنفسه مكانة يثبت من خلالها وُجُودهُ وكونهُ فاعلاً في المجتمع، وتحويله إلى صورة لغوية خيالية القصد من ذلك التأثير في المتلقي ولفت انتباهه (خلف، (2018)، ص204)، فالشعر "يخاطب الوجدان، ويحيل الأفكار الذهنية إلى إحساسات، ويستخدم للألفاظ دلالات عقلية ونفسية خاصة، يكون إدراكنا لها طريق الشعور والعقل" (البياتي، (2015)، ص98)، واستعان بالثنائيات الضدية ليجعل "المتلقي أكثر تفكيراً ويمنحه حافزاً للقبول والتأثر، فبرع في الجمع الأضداد، ليمنح المتلقي بعداً تأملياً في تلك الأضداد التي تخضع لرؤية المتلقي اليومية فيتفاعل معها فكرياً وعاطفياً فتثير فيه الرغبة للتأمل والتأثر" (عبد الرحمن وآخرون، (2023)، ص371)، ويسعى الشاعر في مدحه إلى إبراز الصفات الحميدة والفاضلة لأبي يحيى، وإضفاء مكانة تميّزه عن الآخرين، ويكون ذلك ظاهراً بوضوح في المناسبات التي يجتمع فيها عامة الناس، لاسيَّما الأعياد، فقد مدحه ابن الأبار بمناسبة العيد ولقائه بوالده أبي زكريا في تونس، فقال: {الطويل} عدد الأبيات: 49

19- وَأُوتِيَ مِنْ آبَائِهِ الحُكْمُ وَالحِجَى
صَبِيّاً فَكَانَ الكَهْلَ فِي بُرْدَةِ الغِرّ
20- وَرُبَّ صَغِير فِي سِنِيه، سَنَاؤُه
جَليلٌ لَدَى الجُلَّى، كَبِيرٌ عَنْ الكِبْرِ (البَلَنسِي، (1999)، ص202).

عمل الشاعر على جعل هذه الثنائيات الضدية (صَبِيّاً/الكَهلَ)، و(صغير/كبير) بؤرة تلبي غاية الشاعر، وتستوعب مبالغته في مدح أبي يحيى بأنه كان كهل الرأي وسديد الحكمة والبصيرة في سِن الطفولة، وصار مِرآة لطريق آبائه وأجداده، فرسم صورة مثالية للممدوح ومكانته العظيمة عند الكبار بما يمتلك من الحكمة وعقل مكتمل والأخلاق النبيلة الفاضلة، على رغم صغر سنه وكان بعيداً كل البعد عن التكبر، وعلى هذا الأساس كان اهتمام أولي الأمر والسلطة للشعر المديح، فهو الكلام الموجَّه إلى الممدوح ويُعتبر نوعاً من الرسائل الكلامية التي يتركز فيها التعبير على الوصول إلى هذا المخاطب. وفي هذا السياق، تكتسب اللغة فيه وظيفة طلبية أساسية، إذ تتمثل مهمة الشاعر الرئيسة في إرضاء الممدوح، سواء باعتباره فرداً، أو كجزء من جماعة مثل البطانة أو المجلس أو البلاط، كما يمتد تأثيره إلى صياغة الجو الثقافي العام (سويدان (1989)، ص108-109)، وحرص ابن الأبار أن يسقط على ممدوحه الصفات الكاملة والتصورات المثالية، ليكون ولي العهد -أبي يحيى- أعظم في عين الرعية، وأقدر في نظرهم على قيادة الدولة، إذ تتمثل فيه كل الصفات التي يقدرها المجتمع، وإن كانت بعيدة عنه (بيرم، (2012)، ص149).

➢ الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة التي درسنا فيها قصائد ابن الأبار البلنسي فقد توصلت الدراسة إلى نتائج، أهمها: 1- تقومُ الثنائية الضدية في شعر ابنِ الأبّار على علاقة جدلية متلازمة بين طرفينِ متناقضين، ويظهر من خلالها صراع الإنسانِ الأندلسيّ بين الحياة والموت، والفرح والحزن، والوطن والمنفى.
2- تحتل الثنائيات الضدية في شِعرِ ابنِ الأبّار مِحور جمالي وإبداعي وتشارك في تكثيف المعاني وتجسيد العواطف، مِن خلال الصراع بين الداخل والخارج، والحُب والفقد، والوطن والغربة. 4- يُساعد تكرار الثنائيات الضدية في شعر ابن الأبّار على تَعزيز الطاقَة الشعريةِ، فَيَزدادُ النص عمقاً وتَأثيرًا. 5- إن إحساس الغربة والحنين كان عميقاً في نفس ابن الأبار، فقد ذاق معاناة الترحال والهجرة وقسوة البعاد ولوعة فراق، فلذلك كان ينوح على شبابه وحاضره الحزين.

المصادر والمراجع

- أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز، (2005). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ج6، ط8، مؤسسة الرسالة-بيروت.
- إبراهيم، د. زكريا، (1971). مشكلة الحياة. مكتبة مصر-القاهرة.

- ابن الأبار، (1985). الحلة السيراء. حققه وعلق حواشيه: د. حسين مُؤنس، ج1، ط2، دار المعارف-القاهرة.
- ابن الأبار، (1989). التكمِلَةُ لِكتاب الصِّلَةِ. تحقيق: إبراهيم الأَبياري، ط1، دار الكتاب المصري-القاهرة.
- ابن الأبار، (1989). المُقتضب مِن كِتَاب تُحفَةِ القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب اللبناني-بيروت.
- أبو ديب، كمال، (1984). جدلية الخفاء والتجلي دِراساتٌ بِنيَوِيَّة في الشِعر. ط3، دار العلم للملايين- بيروت.
- أبو ديب، كمال، (1987). في الشعرية. ط1، مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت.
- أبو زيد، د. أسماء أبو زيد محمد، (2021). أصداء الزمن عند الشاعر الجاهلي. العدد36، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، كلية الآداب- جامعة المنصورة.
- أبو غالي، د. مختار، (1995). الشعر ولغة التضاد الرؤية- الميدان والتطبيق. ح15، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت.
- الأَزْدِي، أبي علي الحسن بن رَشِيقٍ القَيْرَوَاني، (1981). العُمدَة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. حققه وفصله وعلق عليه: محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، ط5، دار الجيل- بيروت.
- أنيس، إبراهيم، (2010). في اللهجات العربية. ط7، مكتبة الأنجلو المصرية-القاهرة.
- البلنسي، أبي عَبد الله محمد ابن الأبار القُضاعي، (1999). ديوان ابن الأبار. قراءة وتعليق: أ. عبد السَّلام الهرّاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية.
- البلنسي، أبي عبد الله محمد بن الأبار القُضاعيّ، (1985). ديوان ابن الأبار. قراءة وتعليق: د. عَبد السَّلام الهَراس، الدار التونسية-تونس.
- البياتي، ياسر رشيد، (2015). القصيدة الأندلسية في عصر الطوائف (دراسة فنية). ط1، دار غيداء-عمان.
- بيرم، د. عبدالله، (2012). التداولية والشعر (قراءة في شعر المديح في العصر العباسي). تقديم: أ. د. منتصر عبد القادر الغضنفري، ط1، دار مجدلاوي-عمان.
- التلمِسَاني، الشيخ أحمد بن محمد المقّري، (1968). نَفحُ الطيب من غصن الأندلس الترطيب. حققه: د. إحسان عَباس، م2، دار صادر- بيروت.
- جاسم، أ. د. أسماء صابر، (2019). التضاد في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر ثنائية الشباب-الشيب أنموذجاً. المجلد26، العدد9، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية-جامعة تكريت.
- جبارة، فاطمة، (2024). الحكمة في الشعر العربي في بلاد فارس (العصر العباسي الثاني) اختياراً. رسالة ماجستير، كلية التربية-جامعة ميسان.
- جديتاوي، د. هيثم محمد، (2018). الزمن في شعر ابن المعتز. العدد10، مجلة التَوَاصُل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن-جامعة باجي مختار.
- الجرجاني، الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (1991). كتاب أسرار البلاغة. قرأه وعلَّقَ عليه: محمود محمد شاكر، ط1، دَار المدني- جدة.
- جعفر، سهيل محمد، (2010). الأساليب البلاغية في شعر أبي هلال العسكري. رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشيد-جامعة بغداد.
- جعفر، لأبي الفرج قُدامة، (1302). كِتَاب نقْدُ الشّعر. ط1، مطبعة الجوائب- قسطنطينية.
- جمعة، د. وفاء، (2014). رؤية المكان والزّمان في تجربة الغربة والحنين في شعر ابن درّاج القسطلي. المجلد36، العدد3، مجلة جامعة تشرين البحوث والدراسات العلمية-سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية.
- الجوهري، أبو النصر إسماعيل، (1999). الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية. ط1، دار الكتب العلمية-بيروت.
- حمدان، د. ابتسام أحمد، (1997). الأسس الجمالية للإيقاع البَلاغي في العَصر العبَّاسِي. مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله، ط1، دار القلم العربي-حلب.
- حمودة، د. عبد العزيز، (1998). المرايَا المُحَدَّبَة مِنَ البنيوية إلى التفكيك. مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.
- خضر، د. فوزي، (2004). عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون. مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري-الكويت.
- الخفاجي، د. ليلى نعيم عطية، (2012). سيكولوجية الحوار في القصيدة الجاهلية. المجلد2، العدد2، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب-الجامعة العراقية.
- خلف، م. د. رائد عكلة، (2018). تجليات الأنا بين الانكسار والاعتداد أمام الآخر في شعر علي بن الجهم. العدد27، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب، جامعة الأنبار-العراق.
- خيرة، ليدريسي، (2019). الحنين في الشعر الأندلسي (مقاربة نقدية لنونية ابن زيدون). رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد ابن باديس- مستغانم.
- دريدا، جاك، (2000). الكتابة والاختلاف. ترجمة: كاظم جهاد، تقديم: محمد علال سيناصر، ط2، دار توبقال- المغرب.
- دريدا، جاك، (2010). عن الحق في الفلسفة. ترجمة: د. عزالدين الخطابي، ط1، المنظمة العربية للترجمة- بيروت.
- دريدا، جاك، (2013). استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا. ترجمة وتقديم: د. عزالدين الخطابي، أفريقيا الشرق- المغرب.
- دريدا، جاك، (2018). ماذا عن غدٍ. قدم له: د. فيصل دراج، ط1، دار كنعان- دمشق.
- دي سوسير، فردنان، (1985). علم اللغة العام. د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية- بغداد.
- دي سوسير، فردنان، (1987). محاضرات في علم اللسان التام. ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق- المغرب.
- الدينوري، ابن قتيبة، (1958). الشعر والشعراء. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ج1، دار المعارف-القاهرة.
- الديوب، د. سمر، (2009). الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق.
- الديوب، د. سمر، (2017). الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته. ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية-النجف.
- الذهبي، شَمس الدين أبي عبد الله مُحمد بن أحمد بن عُثمان، (2008). المُسْتَمْلَح مِن كتاب التكملة مختصَرَ التَكملة لكتاب الصِلَة. خَدَمَهُ وَاعتَنَى بِهِ: هَارون بن عبد الرحمن آل بَاشا الجَزائِري، ط1، عالم الكتب- عمان.
- الرازي، أحمد أبو الحسين ابن فارس، (2003). مقاييس اللغة. ج1، ط3، اتحاد كتاب العرب-دمشق.
- الرشيدي، د. نايف فهد البراك، (2020). الشيب والشباب في شعر ظافر الحداد (دراسة موضوعية وفنية). المجلد42، العدد3، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم-جامعة المنيا.
- الزركشي، محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، (1998). تاريخ الدَّولتين الموَحّديَّة والحَفصِيَّة. تحقيق وتقديم: الحُسَين اليَعقوبي، ط1، المكتبة العتيقة- تونس.
- الساحلي، منى علي سليمان، (1993). التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية في شعر أبي تمام. رسالة ماجستير، جامعة قار يونس- بنغازي.
- السد، نورالدين، (2007). الشعرية العربية (دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي). ج2، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر.
- السعدني، مصطفى، (2005). البناء اللفظي في لزوميات المعري (دراسة تحليلية بلاغية). ط3، منشأة المعارف- الإسكندرية.
- السهلاوي، د. عبير عبد العزيز محمد، (2020). رثاء الشباب عند ابن الرومي (مقاربة في المضمون والتشكيل الفني). المجلد8، العدد1، مجلة الذاكرة، كلية الآداب-جامعة الملك فيصل.
- سويدان، د. سامي، (1989). في النص الشعري العربي (مقارنات منهجية). ط1، دار الأدب-بيروت.
- شتراوس، كلود ليفي، (1977). الأنثروبولوجيا البنيوية. ترجمة: د. مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي- دمشق.
- الشوربجي، أ. م. د. أسامة لطفي، (2020). الحوار في شعر ابن المعتز (دراسة في الأنماط والأساليب). المجلد3، العدد35، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة قناة السويس.
- صَليبَا، جميل، (1982). المُعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية. ج1، ط1، دار الكتاب اللبناني-بيروت.
- عامر، عاصم حسن، (2000). لغة التضاد في شعر أمل دنقل. رسالة ماجستير، جامعة اليرموك- إربد.

- العبادي، عيسى قويدر، (2014). أنماط الحوار في شعر محمود درويش. المجلد41، العدد1، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحسين بن طلال-الأردن.
- عبد الرحمن، أ. م. د. عبد الهادي، (2023). ثنائية الحياة والموت بين الشاعر أبي ذؤيب الهذلي (27هـ) والشاعر أبي العلاء المعري (449هـ). المجلد2، العدد خاص، المؤتمر العلمي السادس والعشرين للعلوم الإنسانية والتربوية، كلية التربية-جامعة المستنصرية.
- عبده، د. ثريه عبد الرحيم السيد علي، (2016). اتجاهات الحوار عند شعراء الغزل العذري في العصر الأموي. المجلد5، العدد32، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر-القاهرة.
- عثمان، أفراح علي، (2016). التصوير بالتضاد في تجربة الفقد في الشعر الأندلسي. المجلد27، العدد2، مجلة كلية التربية للبنات، كلية التربية للبنات-جامعة بغداد.
- العسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، (1952). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دارُ إحيَاءِ الكتب العربية- القاهرة.
- علي، إياد إسماعيل هلال، (2019). دواعي الواقع والحلم في الشعر الأندلسي. العدد30، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب- جامعة الأنبار.
- علي، وليد عُوَيد حسين، (2021). ثنائية الشباب ضد الشيب في الشعر الباخرزي (دراسة تحليلية). المجلد2، العدد138، مجلة الآداب-جامعة بغداد.
- غلفان، د. مصطفى، (2017). اللغة واللسان والعلامة عند سُوسير في ضوء المصادر الأُصول. ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت.
- الفارابي، أبو النصر محمد، (1960). شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة. تقديم: ولهام كوتش اليسوعي وستانلي مارو اليسوعي، د.ط، المطبعة الكاثوليكية-بيروت.
- القرطاجني، أبي الحسن حازم، (2008). منهَاج البُلغَاء وسراج الأدباء. تقديم وتحقيق: د. محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3، الدار العربية للكتاب- تونس.
- القضاعي، لأبي عَبد الله مُحمد بن عَبدِ الله بن أبي بكر، (2001). دُرَرُ السِّمْطِ في خَبَرِ السِّبْطِ. أشرف على نقده وتعليقه: السيد أبو الفتح دعوتي، د. عز الدين عمر موسى، ط1، مؤسسة الهدى-تهران.
- القضاعي، لأبي عبدِ الله مُحمد بن عَبدِ الله، (2011). التكملةُ لكِتَاب الصِلة. حققه وضبَط نَصَّه وَعلَّق عَلَيه: د. بشّار عوّاد معرُوف، م1، ط1، دار الغرب الإسلامي-تونس.
- لقمان، شاكر، (2013). بناء القصيدة في شعر ابن الأبار القضاعي. أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر-باتنة.
- المالكي، أبو زَيد وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي القاهِري، (2019). تاريخ ابن خلدون. اعتنى به: أو صُهَيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية-الأردن.
- المذكوري، د. مسعود مطر سليم، (2023). الحوار في شعر مصطفى صادق الرافعي (صيغه، أنواعه، أطرافه)، (دراسة موضوعية فنية). المجلد 64، العدد 1، مجلة كلية دار العلوم-جامعة الفيوم.
- المراكشي، أبي عَبد اللهِ محمَّد بن محمدِ بن عبد الملكِ الأنصاري الأوسّي، (2012). الذّيل والتكملة لِكتَابَي الموصُولِ والصِلَةِ. حَقَّقَهُ وعَلَّق عَليهِ: د. إحسان عباس، د. محمد بن شريفة، د. بشار عواد معْروف، ط1، م4، دار الغرب الإسلامي-تونس.
- المصري، جمال الدين ابن منظور، (2003). لسان العرب. ج3، د.ط، الحديث-القاهرة.
- مكاوي، يقين محمد زياد، (2019). الحنين في شعر ابن سعيد الأندلسيّ (دراسة تحليليَّة نقديَّة). رسالة ماجستير، جامعة النَّجاح الوطني-نابلس.
- الموسوي، ضمياء أحمد عبد جاسم، (2015). الثنائيات الضدية في شعر ابن زيدون. رسالة ماجستير، جامعة ذي قار-العراق.
- مومن، أحمد، (2005). اللسانيات النشأة والتطور. ط2، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر.
- الوتوات، د. عبد الله، (2019). أسلوب المقابلة والتضاد في شعر الرقيات (دراسة تطبيقية). العدد الثالث، المجلة العلمية لكلية التربية-ليبيا.
- ياسين، د. محمد طه جواد، (2024). لَومُ الدَّهرِ وَتَمظهراتُهُ في الشعر الأندلسيّ في عَصري الطوائف والمرابطينَ (دراسة تَحليليةٌ نَفسيةٌ). ج2، العدد26، المجلة المحكمة، كلية التربية للعلوم الصرفة-جامعة ديالى.

هەڤدژ دناف هوزانێت ابن أبار بلنسی دا (گەنج وپیر) وەک نموونە:

بوختە:

هوزانڤان مروڤەک هەستیارە، لدەمی کاریگەر دبت هەستێ دکەت ودەربرینی ژێ دکەت وهەستێن خوە نیشان ددەت ب وان پەیڤێن کو خوّدان ئاواز وتونێن رەنگینن و بشیوەکێ جان وخەملاندی ب وان هەست وتیومرین ویژدانی ڤە ودبت ئەگەرێ هەژاندنا هەستێن وی وڤەژاندنا ناخێ وی، زوربەیێا هوزانان لدەف وی هوزانێت وژدانینە، وبقی ئاوای هزر وبیر وئەزمونێن کو دکویراتیبا مروڤی عەرەب دا وێنە دکەت ل ڤی ماوەیی ئازارێن تاکە کەسی وجڤاکی بن بین دریژە خایەن دگەل دەمی وژیانێ وجڤاکی دگەل هەر خوشیەک ونەخوشیەکا تیدا ژ خوشحالی وئازاربرنی، ژ زەنگینی وهەژاریی، ژئاسایشا راوەستیانی وبەرزەبوونی، ژ حەژیکرنی وکەربڤەبوون، هەروەسا سەرەرای وان بارێن ناکوکی بین کو هەمی کەس تیدا دژین، وهەروەها خەیالڤانێ هوزانێت ابن الأبار البلنسی ئەڤین کو رامان وبەلگەبین کویر بین هەڤدژ دناڤ هوزانین خودا هەلگرتین کو دەربرینی ژ ماوەیی ئەزموونا وی یاکو پر دژوار ژ زەحمەتی ،وگەریانێ وئاستەنگان دگەل بێ هیڤیبوونا وی، هەر چ ژلایێ ناڤەندا دەرونی یان ناڤەندا هزری یان ناڤەندا کومەلایەتیی بت و ئەو ڤێ راستیێ دەردبرت ب رێکا بکارئینانا هەڤدژا ژ کەیفخوەشی وخەمگینی و باشی وخرابی و ژ راستی و درەوی و روناهی و تاریی، هەروەها حەژیکرنی وکەرب ڤەبوونی، و دسەربلندی وسەرشەرمی، و ب دلوڤانی و هوڤیەتا خوە ڤە، هەروەکی مینا وێرەکی و ترسنوکی وب هیڤی و بی هێڤیبوون و ترس و ئەولەهی کو دەربرینی ژ ئارمانجین زانستی و مەرەڤا سیاسی دکەت و د هونەرا وی یا هوزانی دا جوداهیەکا زەلال هەبوو وەکی نیشاندانا ستینێن جوانیێ - و جورو جوریا رامانین مفادار کو پیشکیشی نڤیسینێن خوە بێن هوزانی دکرن کو دیتنەکا خوەی یا دیرو جوان فەلسەفی کویر دەربرین ژێ دکر ژ دودلی یا وی ژ هەبوونی ئەڤە ژی بریکا هەفسەنگیا رەوشەنبیری ئەڤە کو یا ڤەشارتیەکا نەدیار دیار دکەت. وپشتی ڤێ ئەم دی رابن بشیوەیەکێ هشیاری ب خواندنا هەڤدژا هەر ئێک گەنج وپیر د نڤیسینێن وی ین هوزانی دا کو رادبت ب دیارکرنا ناڤەروکا ڤەشارتی بریکا هەڤدژا ژ هەمی لایەنێن وێین جورو جور ڤە ئەوێن بوینە ئەگەرێ کارتیکرنی لسەر دەرونێ هوزانڤانی وهەستێن وییت ترسی وجاران یت خەمگینێ وژوێ قەدەرێ ئەوا لبەندا هەر حەژیکەرەکێ ژیانێ وپێگری بوان هیڤیێن دەم درێژ دنافخویا ناخێ وی دا.

پەیڤێن سەرەکی: هەڤدژ، ابن الأبار البلنسی، ئەندەلوس، وینێ هوزانێ، گەنج وپیر.

THE OPPOSITIONAL BINARIES IN THE POETRY OF IBN AL-ABBĀR AL-BALANSĪ – "YOUTH AND OLD AGE" AS A MODEL

ABSTRACT:

The poet is a sensitive being, easily affected, expressing emotions through harmonized words and phrases adorned with the vibrations of his soul and the stirrings of his feelings. Poetry for the most part, is lyrical, painting with words the depths of the Arab individual, filled with accumulated experiences and emotions resulting from both individual and collective suffering throughout time, life, and society. These include joy and sorrow, bliss and pain, wealth and poverty, stability and loss, love and hatred… and other such contradictions experienced by every human being. A close reading of Ibn al-Abbār al-Balansī's poetry reveals a clear manifestation of oppositional binaries within his poems, carrying deep connotations that reflect a life filled with hardships, travels, challenges, and betrayals — whether in the psychological, intellectual, or social realms. He employs these realities through polar oppositions: sadness/joy, good/evil, truth/falsehood, light/darkness, love/hatred, dignity/humiliation, compassion/cruelty. His poetry also embodies bravery/cowardice, hope/despair, and fear/security. Through this, he expresses a longing for knowledge and a passion for politics, distinguishing himself in his poetic craft. His works offer rich aesthetic dimensions and fruitful semantic variety, granting his poetry unique artistic layers and profound philosophical visions that reflect existential anxiety. This is achieved through the active presence of cultural patterns that reveal the hidden and bring forth the concealed. Therefore, this study will undertake a careful analysis of the binary opposition of youth and old age in his poetic texts, uncovering the underlying meanings behind this duality in its various dimensions — meanings that stirred within the poet feelings of fear and, at times, sorrow about the fate that awaits all who cherish life and hold long hopes within themselves.

KEYWORDS: Oppositional Binaries, Ibn Al-Abbār Al-Balansī, Al-Andalus, Poetic Imagery, Youth, And Old Age.